بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة (٤)

مادة: المدخل إلى علم الاجتماع

الفرقة الأولى

كلية التربية

شعبة التعليم الأساسي (دراسات اجتماعية)

الفصل العاشر

نظام الـزواج

أولا : ماهية الزواج

إن الكائنات جميعا من مختلف الممالك التى يضمها الكون تشترك جميعا من حيث ما حباها الله من رغبة التزاوج أو التكاثر محافظة على نوعها وبقائها فى الحياة، بمعنى أن كل من الإنسان والحيوان يشتركون فى الغريزة الجنسية إلا أن الإنسان يميز بين تلك العلاقة من حيث المسموح بها والعلاقات المحرمة، إى بين ما يقره المجتمع وبين ما يرفضه من الأشكال المختلفة لهذه العلاقة.

ومعنى هذا أن الجماعات الإنسانية لا تعتبر العلاقة بين الجنسين فردية أو بيولوجية. وإنما تعتبرها إلى جوار ذلك خلقية أو جماعية، وما الزواج إلا وسيلة اتخذتها الجماعات لتنظيم هذه العلاقة، ومن الواضح طبعا أن إشباع الغريزة عند الإنسان لا تختلف كثيرا عنه عند باقى الحيوانات، ولكنه لا ينتهى عند الحيوانات بشكل أسرة بمعناها الواضح، كما هو الحال عند الإنسان وذلك لأن رغبة الإنسان لإشباع غريزته دائمة، ولأن فتر ة الطفولة عند نسله طويلة .

والإنسان بهاتين الظاهرتين يختلف عن الثدييات العليا التى نجد لمعظمها فصلا للإنسان يتفق عادة مع بعض النواحى الطبيعية كالمناخ ووفرة الغذاء. وإذا أضفنا فصل الإنسان هذا إلى سرعة فترة النضج عند أكثر هذه الحيوانات، وجدنا هذين العاملين لا يساعدان مطلقا على تكوين نظام الأسرة عند هذه الحيوانات.

بينما نجد أن النشاط الجنسى الدائم عند الإنسان لا يعرف حاجزا مناخيا أو فصليا وكذلك طول مدة الطفولة عنده يساعد على حياة الأسرة، وما الزواج إلا أولى المراحل لتنظيم هذه الحياة التى فرضتها الطبيعة عليه ولذا نجد أن الزواج ظاهرة قديمة فى المجتمعات الإنسانية حتى البدائى منها وان اختلفت أشكاله ومظاهره.

ويعرف (وستر مارك) الزواج بأنه "العلاقة التى تربط رجلا أو عدة رجال بامرأة أو عدة نساء بشرط أن تتفق وتقاليد الجماعة أو يؤيدها القانون، وتنطوى هذه العلاقة على حقوق وواجبات بالنسبة للطرفين وأولادهما ".

وعلى هذا يعتبر الزواج نظاما اجتماعيا يساهم بنصيب كبير فى تنظيم الجماعة، وفى تنظيم الغريزة الجنسية وهو يقوم على تفضيل العلاقة الدائمة بين الطرفين والرغبة فى الحياة المشتركة، ومما يشجع على ذلك احتقار الجماعة لمن يتصرف عنها إلى علاقة أخرى من العلاقات التى يستنكرها المجتمع.

ويشترط فى الرابطة لكى تكون زواجا أن تتم تبعا للشروط التى تحددها العادة أو القانون مهما كان شكل هذه العادات أو هذه القوانين والتى تتطلب موافقة الطرفين نفسيهما أو موافقة الوالدين، كما قد يجبر الزوج على إعطاء تعويض (مهر) لخطيبته أو لوالديها أو أن

يدفع هؤلاء التعويض (دوطة) وأن يقام حفل خاص وأن يشهد الشهود بأن الزواج قد تم وفق ما تواضع عليه المجتمع.

ثانيا : أصل الزواج :

من المرجح أن الزواج قد نشأ فطريا ويعزز هذا الرأى أنه حتى فى العصور البدائية الأولى لابد أن الرجل والمرأة أو عدة نساء كانوا يعيشون معا لممارسة الغريزة الجنسية وتربية النسل الناتج عن ذلك، كما كان على الرجل أن يحمى ويعول أسرته، وعلى المرأة مساعدته وتربية الأطفال، وكان هذا يحدث أولا طبيعيا ثم أصبح يحدث فيما يعد بحسب شروط معينة تحولت أخيرا الى نظام اجتماعى Institution Social وقد ظهرت عادات مماثلة لذلك بين القردة العليا حيث تعيش فى سومطره عادة فى أسر مكونة من الأب والأم وصغارهما.

وهناك بين العلماء من يرى أن الشيوعية الجنسية كانت النظام السائد فى فجر الإنسانية وعلى رأسهم لويس مرجان الذى يرى أن النظام المونوجامى شكل متطور عن الشيوعية الجنسية وذلك فى كتابه بعنوان ancient society

وقد جاء هذا الرأى نتيجة لدراسة بعض الشعوب البدائية ووجود بقايا لهذه الشيوعية الجنسية تتمثل بين بعض العشائر اليولينيزية حيث يعيش أفراد الأسرة الواحدة فى حالة شيوعية جنسية، فيعاشر الأخوة أخواتهم بدون قيود الزواج.

ولكن هذا النظام إذا صح أنه كان مطبقا بين هذه العشائر فلا يمكن اعتباره شيوعية جنسية ما دام المجتمع قد أقره ونظمه وقيده بقصره على أفراد الأسرة الواحدة، وهو بذلك يعد أحد مظاهر تعدد الأزواج والزوجات فى وقت واحد لا من مظاهر الشيوعية المطلقة. ومن المظاهر

التى دعت هؤلاء العلماء يعتقدون فى هذه الشيوعية الجنسية ما لاحظه مرجان من إباحة الاتصال الجنسى بين الرجال والنساء دون قيد أو شرط عند بعض الشعوب فى بعض

الأعياد والحفلات الدينية وهذا أيضا ليس من الشيوعية المطلقة فى شىء ما دام المجتمع قد أقره وجعله موقوتا بفترة معينة.

ومما سبق نرى أنه من الخطأ اعتبار هذين المثالين وغيرهما آثارا لشيوعية جنسية بين هذه العشائر أو أنها آثار كانت تسير عليها جميع الشعوب الإنسانية فى مبدأ نشأتها إذ ليس هناك ما يدل علميا على أنها كانت سائدة فى أى مجتمع من المجتمعات فى مراحل نشأته الأولى، وكل ما هناك أن بعض المجتمعات كانت ولا تزال تبيح فى ظروف خاصة بعض حالات من هذا القبيل .

وكانت هذه الحالات استثنائية تباح فى نطاق ضيق وفى ظروف معينة وبقيود كثيرة يحددها المجتمع، وهذا يجردها من صفة الشيوعية المطلقة، بل ترجع إلى نظم تختلف اختلافا جوهريا عنها، كما هو الحال فى بعض المجتمعات التى ترى أن واجب الضيافة يقتضى إعارة الزوجة للضيف، على أن يظل هذا دينا يرده المضيف إذا أصبح ضيفا، كما هو الحال عند بعض قبائل الإسكيمو.

ويصح إلى حد ما أن يدخل نظام البغاء ضمن نطاق الشيوعية الجنسية وهو نظام كان ولا يزال مباحا فى

كثير من المجتمعات الحاضرة، كما كان سائدا في المجتمعات القديمة إلا أنه برغم ذلك كان قديما ولا يزال حديثا مقيدا بقيود كثيرة، كما ينظر إليه على أنه استثناء لا يمثل الحالة السوية لاتصال الرجل بالمرأة، كما أنه لا يمارس إلا فى نطاق ضيق هذا وتنظر إليه نفس الشعوب التى تسمح نظمها بممارسته نظرة فيها كثير من الازدراء والسخط.

ثالثا : انتشار الزواج :

يتوقف مدى شيوع ظاهرة الزواج فى المجتمع على السن التى يسمح بها

المجتمع، ويمكن أن يقال عموما بالنسبة للجماعات المتأخرة، إن البنات يتزوجن فيها فى سن مبكرة عنه عند الشعوب المتأثرة بالمدنية الغربية، كذلك الحال أيضا

بالنسبة للرجال. وقد يكون هذا لأن إشباع الغريزة الجنسية عندهم يصعب تحقيقه بدون زواج أو بعلاقة تنتهى عادة بالزواج، حتى إذا أمكن إشباع هذه الرغبة بأية وسيلة، فإن الزواج فى حد ذاته عندهم ضرورة .

فلا بد للرجل من امرأة ترعى بيته وتجمع له الحطب وتطهو طعامه وتجلب الماء وتعد له ملابسه أو لتساعده فى الزراعة، إن كانت الجماعة زراعية. هذا علاوة على أنهم يحسبون حسابا للذرية. ذلك لأن الرجل بدونها

يعتبر تعسا كبيرا سيئ الحظ، كما يسود الاعتقاد بين كثير من هذه الجماعات البدائية أن من يموت بلا ذرية. يعذب بعد موته .

والشاب فى الجماعة البدائية لا يجد صعوبة فى إعالة الأسرة التى يكونها، لأن فى

استطاعته أن يحصل على غذائه بسهولة من الصيد برا وبحرا وهذا يشجعه على الزواج المبكر. وإن كان هذا لا يمنع من وجود عوائق أخرى تضطر بعض الشباب فى هذه الجماعات إلى تأخير زواجهم لمدة قد تطول أو تقصر لكى يستطيع شراء زوجة، حيث لا يمكنه الحصول على ثمنها وهو صغير .

كما أن الشاب قد يجد صعوبة فى الحصول على زوجة فى بعض المجتمعات التى يفوق فيها عدد الرجال عددا من النساء، أو حين يحتكر عدد قليل من الرجال عددا كبيرا من نساء الجماعة، حيث يتراوح ما يتزوجه كل منهم بين خمس نساء وثلاثين امرأة فى الوقت الذى يظل فيه عدد كبير من الشبان عاجزا عن الحصول على زوجة واحدة، كما هو الحال بين بعض قبائل الكونجو وجنوب غينيا .

كما قد توجد هذه الظاهرة أيضا عند الجماعات التى يزيد فيها الإناث على الرجال لنفس السبب، وعلى ذلك نجد بين هذه الجماعات ظاهرة اختفاء العانسات " أو العنوسة "، كما تنتشر أيضا بينها ظاهرة خطبة الأطفال لضمان الحصول على زوجة مستقبلا علاوة على انخفاض ثمن الطفلة كثيرا عن ثمنها بعد أن تكبر.

أما عن الزواج بين الجماعات ذات الحضارة القديمة فنجد له أهميته أيضا حيث ينظر إليه كواجب يجب أداؤه كما هو الحال عند الصينيين عموما حيث يرون وجوب زواج الرجل بمجرد بلوغه. كما يعتقدون فى أن أكبر لعنة تحل بالشخص هى موته دون إنجاب ذرية، ونجد نفس الشيء عند اليابانيين والهنود، أما فى البلاد الإسلامية فللزواج أهمية كبرى، حتى إنهم يعتبرون الشخص الذى يتزوج بأنه يتم نصف دينه.

وتحدد القوانين فى البلاد المسيحية عموما سن الزواج للنساء والرجال،

وقد أقرت الكنيسة السن التى حددها القانون الرومانى والذى بمقتضاه يمكن للرجل أن يتزوج فى سن الرابعة عشرة والبنت فى الثانية عشرة، إلا أن التشريعات الحديثة دائما إلى رفع هذه السن لتكون ٢١ سنة للرجل، ١٨ سنة للأنثى، ويحدد القانون المصرى سن الزواج بالنسبة للرجل بثمانى عشرة سنة والأنثى الست عشر سنة.

رابعا : أشكال الزواج :

إن التاريخ الإنساني قد طرح أشكالاً متعددة وأساسية للزواج وهى (وحدانية الزواج، وتعدد الزوجات، وتعدد الأزواج ، والزواج الجماعى) وفيما يلى سنعرض بإيجاز لهذه الأشكال.

١ - وحدانية الزواج : Monogamy

تعتبر وحدانية الزواج من الأشكال المفضلة فى كثير من المجتمعات، ومعناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة، وهذا الشكل منتشر على أوسع نطاق عالميا بل إن هناك مجتمعات ترفض كل أشكال

الـزواج عـدا الوحدانيـة، إلا أن هـذا لا يعنـى أن الـزواج لابـد أن يحدث مرة واحدة طوال العمر فقط، بل يمكن السماح بالزواج مرة أخرى فى حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين.

٢ - تعدد الزواج : Polygamy

وهو الشكل الذى يعتبر عكس وحدانيـة الـزواج، وهنـاك أنـواع عديـدة منـه مثـل الـزواج مـن داخـل القبيلـة أو البدنـة أو العشـيرة ويسـمى "الـزواج الـداخلى" Endogamy وهـو علـى خـلاف والـزواج الخـارجىExogamy الـذى لا يجـوز حدوثـه بـين أعضـاء البدنـة أو القبيلـة أو العشيرة لانتمائهم إلى "توتم" واحد فيعتبرون اخوة ، "ويحرم" زواجهم، وبالتـالى لابـد أن يكـون الزواج خارجيا، أما الزواج التعددى فيشير إلى الزواج بكثيرين، وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

١ - زواج واحد من عدة نساء ويسمى تعدد الزوجات Polygam .

٢ - زواج امرأة واحدة من عدة رجال ويسمى "تعدد الأزواج Polyandry

٣ - زواج عدة نساء من عدة رجال ويسمى "الزواج الجماعى Marriage Group ".

وقـد تبـين مـن عينـة عالميـة أخـذها (ميـردوك Murdock) مـن ٥٥٤ مجتمعـا أن تعدد الزوجات يلقى قبـولا وتـأثيرا ثقافيـا فـى ٤١٥ مجتمعـا أى بنسـبة (٧٧%) ينمـا لـم يجـد زواج امـرأة واحـدة مـن عـدة رجـال قبـولا سـوى فـى ٤ مجتمعـات أى بنسـبة أقـل مـن (١%)

وجدير بالذكر أنه فى إى دراسة عن تعدد الزوجات يجب التفرقة بوضوح بين الأيديولوجية وبين ما يحدث بالفعل. فبالرغم من أن الشريعة الإسلامية تسمح بتعدد الزوجات إلا أن الشكل السائد للزواج فى المجتمع المصرى هو الوحدانية، وذلك لتدخل عوامل اقتصادية وثقافية واجتماعية تحول دون الزواج بأكثر من واحدة أو تجعله أمرا غير مرغوب فيه على الأقل.

٣ - تعدد الزوجات

هو أكثر الأشكال التى تم الإشارة إليها انتشارا وخاصة فى المجتمعات البدائية أو النامية، ويدل فى ناحية منه على المكانة العالية والتميز والثراء. أما لماذا يتخذ الرجل أكثر من زوجة، فهناك ظروف ودوافع عديدة تؤدى إلى ذلك، فإلى جانب إظهار المكانة العالية والهيبة، توجد فى بعض الحالات الرغبة فى الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور. هذا وعادة ما يراعى فى الأسرة التى تتعدد فيها الزوجات عدة اعتبارات مثل:

أ - أن يكون للزوجات حقوق متساوية.

ب - أن تقيم كل زوجة فى مكان مستقل.

ج - أن تكون الزوجة الأكبر سنا (أول زوجة فى العادة) مميزات ونفوذ معروف.

٤ - تعدد الازواج

وهو نادر الحدوث، ومحدود الانتشار للغاية، ويكون الأزواج فى معظم الحالات من الأشقاء، فهم أخوة فى البدنة، وينتمون إلى نفس الجيل، ويقلل هذا الوضع إلى حد كبير من درجة الغيرة بين هؤلاء الأزواج، ومن المعروف فى قبائل مثل "التودا" Toda فى الهند أنه عندما تتزوج امرأة من رجل فإنها تصبح زوجة لإخوته فى نفس الوقت، ويرجع نظام تعدد الأزواج فى الواقع إلى ظروف الفقر الشديد مما يجعل من الصعب على كل أخ أن يتزوج من امرأة بمفرده، وبالتالي يشترك الأخوة فى الزواج من امرأة واحدة، وفى المجتمعات التى تأخذ بنظام تعدد الأزواج تنتشر ممارسة قتل الأطفال من الإناث حتى لا يزيد عدد النساء عن النسبة المطلوبة.

٥ - الزواج الجماعى

من المعتقد أن هذا الشكل من الزواج كان سائدا فى المجتمعات البدائية فى العصور القديمة، إلا أن هذا الرأى لم يتأكد بصورة علمية دقيقة حتى الآن. وهو يعنى زواج عدد محدد من الذكور من عدد مساو لهم من الإناث، إلا أن هذا الشكل من الزواج نادر الحدوث فى الوقت الحالى إلا فى حالات فردية تعتبر شاذة إلى حد كبير، وقد قام لارى Larry وكونستنتين Constantine بدراسة عن الزواج الجماعى فى أمريكا، حيث ركزا على عشرة زيجات معظمها لا يقل عن أربعة أشخاص وقد تبين من نتائج الدراسة أن آلية معيشة الزيجات معقدة للغاية من حيث المسائل المالية والقرارات والطعام والإنجاب والصراعات الشخصية.

أسئلة تطبيقية

١- قد طرح التاريخ الانساني أشكالا متعددة للزواج ... تناولها بالشرح والتحليل ؟

٢- وضح مفهوم الزواج وأصله كيفية انتشاره عبر المجتمعات المختلفة ؟